

الرؤية السردية كمكون أساسي في الخطاب الروائي

الطالب: بلهافي الطيب

تحت إشراف أ.د. بلقاسم هوارى

جامعة أحمد بن بلة -1- وهران

الحالة يكون الراويغريبا عن الحكاية، ويغلب على هذا النوع استعمال ضمير الغائب (هو).

- المستوى الثاني: الراوي يساوي الشخصية، ويسمى أيضا ب (بنية الموقعين) أو الرؤية المصاحبة La vision avec Homodiégétique، وفي هذا المستوى يكون الراوي يساوي الشخصية أي أن الراوي يعرف ما تعرف الشخصيات فالكاتب لا يحتكر السرد باعتباره هو الراوي بل كثيرا ما تنقلب الشخصية نفسها إلى راو.

أما النوع الثالث من الرؤية السردية وهو الراوي أصغر من الشخصية أو (البنية الخارجية): وفي هذا المجال، رؤية الراوي تتضاءل، وهو يقدم الشخصية كما يراها ويسمعا دون الوصول إلى عمقها الداخلي، وأبرز ما يميز هذا النوع من السرد هو استعمال ضمير الغائب "هو"، ويقابله باللغة الفرنسية استعمال الضمير "IL".

ولا يمكن الحديث عن الرؤية السردية دون الحديث عن السرد أو الحكى والذي يقوم على دعامتين أساسيتين وهما:

أولاً: أن يحتوي هذا الأخير على قصة ما، تضم أحداثا معينة
ثانياً: أن يعين الطريقة التي تحكى بها هذه القصة. فالرؤية السردية هي الطريقة التي يتم بها سرد أحداث قصة ما، وتسمى هذه الطريقة أيضا بالسرد. وتختلف طريقة الحكى من راو لآخر حتى ولو كانت القصة نفسها. وهو أيضا الزاوية التي يقف وراءها الراوي أو البوابة التي يراقب من خلالها تحركات الشخصيات، وغالبا ما يكون الراوي نفسه مقحما في أحداث القصة ليكون ساردا Narrateur وشخصية فاعلة Personnage principal في نفس الوقت. والحديث عن أي عمل سرد يفترض حتما وجود شخص ما يحكي قصة وشخص آخر يحكى له وأن هناك تواصل بين الطرفين. ويقابل الرؤية السردية la vision narrative عند حميد لحمداني "السرد" la narration ويعرفه بما يلي: " وأن السرد هو الكيفية التي تروي بها هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض

تمهيد:

لقد تعددت أنواع السرد بتعدد الأجناس الأدبية، حيث أحصى الباحثون والمشتغلون في مجال الحقل النقدي أنواعا عديدة من السرد الأدبي وتناولوا موضوع النص الأدبي بنوعيه: شعرا وثرًا.

وقد تناولت مختلف المعاجم العربية مصطلح الرؤية السردية باعتباره مكونا هاما في الخطاب الروائي، كما استأثرت الرؤية السردية الكثير من الاهتمام فخطبت بالدراسة والتحليل من طرف النقاد والباحثين، حيث كانت البداية عن طريق البويطيين، في القرن العشرين.

ومن بين الذين تناولوا هذا المكون الأساسي في النص الأدبي تزفيتان تودوروف، والذي كان من الأوائل في الإشارة إلى أن الرؤية السردية هي الطريقة التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد وكان أول من أثار إشكالية وجهات النظر هو الشكلافي الروسي "بوريس اينخباوم" ثم جاء بعده مجموعة أخرى من الباحثين نذكر منهم: هنري جيمس، بيرسيلو بوك، فريدمان، جان بويون، شتانزل، وين بوث، وجيرار جينيت. إذا كان الخطاب الروائي ليس هو الرواية، ولكن الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، فالرؤية السردية هي الخاصية التي تساعد على إظهار طريقة السرد وتبين إن كان سردا موضوعيا أو سردا ذاتيا.

وهي التي تكشف لنا عما إذا كان المؤلف مطلعا على كل شيء تقوم به الشخصيات أم أنه لا يعرف عنها إلا القليل، وبذلك إما أن يكون الراوي أكبر من الشخصية، أصغر منها أو يساويها. وقد اختلف النقاد والدارسين في تسمية هذا المكون السردية فسمي بزاوية الرؤية، موقع السارد، التبئير، الصوت... الخ.

- مستويات الرؤية السردية:

- المستوى الأول من الرؤية السردية: الراوي أكبر من الشخصية (بنية الموقع الواحد): Narrateur hétérodiégétique وفي هذه

وقد عبر إبراهيم صحراوي عن هذه القضية أيضا بمصطلح تعدد الأصوات في تحليله لرواية "جهاد المحبين" لرجي زيدان حيث تعدد مستويات السرد في الرواية العربية وهو ما ينطبق أيضا على رواية حكاية بحار لحنا مينة.

وقد اهتمت الدراسات الغربية الحديثة بموضوع الراوي، في حين أن الساحة النقدية العربية "تكاد تخلو من الدراسات التي تفرد بالدراسة، فقد عالجت بعض الدراسات عنصر الراوي باعتباره خيطا صغيرا داخلًا في إطار ما يسمى بـ زاوية الرؤية أو وجهة النظر أو المنظور أو التأثير حسب اختلاف النقاد العرب في مسمى هذا المصطلح"⁽⁰⁶⁾.

وعلى حد تعبير الناقد عبد الرحيم الكردي، فقد كان تناول موضوع الراوي كمظهر سردي فلم يحظى هذا العنصر بالدراسة في العمل الروائي سوى من طرف الباحثة ميني العبد التي أفردت له مبحثا نقديا في مؤلفها "الراوي، الموقع والشكل دراسة في السرد الروائي، سنة 1986"⁽⁰⁷⁾.

هذا غير أن الناقدة تناولت عنصر الراوي بالدراسة كتقنية فنية مركزة على الجوانب الإيديولوجية في النص مختلة دور الراوي بكونه يحتل موقعا إيديولوجيا "وبذلك فإنها لا تبحث عن الراوي في إطار زاوية الرؤية فحسب بل تتحدث عنه في إطار عام"⁽⁰⁸⁾، من هذا كانت دراسة الراوي في العمل الروائي الذي بين أيدينا ضرورة ملحة لأننا نرى أن هذا العنصر هو الذي يفتح لنا آفاقا واسعة لدراسة أي نص روائي.

أنواع الرؤية السردية:

1- الراوي أكبر من الشخصية: بنية الموقع الواحد:

وفي هذه الحالة "الراوي يعرف أكثر من شخصياته ولا يعنيه أن يشرح لنا كيفية وصوله إلى هذه المعرفة، فهو يستطيع برؤيته المجاورة أن يخترق جدران المنزل الذي يصفه وجمجمة البطل الذي يتحدث عنه، وشخصياته لا تملك دونه سراولا تعرف عن مصيرها شيئا"⁽⁰⁹⁾.

في هذا المستوى نلاحظ أن مصدر السرد هو الراوي/ المؤلف نفسه، حيث أنه هو الذي يتولى نقل الأحداث ويصف الشخصيات ويوزع عليها الأدوار ويحركها وفق ما تمليه عليه قريحته، وينطبق هذا على رواية "حكاية بحار" في معظم فصول الرواية وبخاصة في الفصل السادس منها.

الآخر متعلق بالقصة ذاتها"⁽⁰¹⁾، أما عند كيزر ولفنون Kayser wolfgang يقابل ذلك الشكل la forme "إن الرواية لا تكون مميزة فقط بمادتها، ولكن أيضا بواسطة هذه الخاصية الأساسية المتمثلة في أن يكون لها شكل ما، بمعنى أن يكون لها بداية ووسط، ونهاية"⁽⁰²⁾. وعند بوث Booth فيقابل هذا الشكل: زاوية الرؤية Point de vue، والتي يعرفها بأنها "مسألة تقنية ووسيلة من الوسائل للبلوغ غايات طموحة"⁽⁰³⁾.

ومن هذا التعريف يتبين أن الغاية من الحكاية هي التي تكشف عن سبب استخدام هذه التقنية أو تلك في عملية الحكاية وأن هذه الغاية هي غاية طموحة تهدف إلى التأثير في المتلقي.

وقد تحدثت جوليا كريستيفا Julia Kristeva عن الرؤية السردية أو عن زاوية نظر الراوي التي يقدم بها عالمه الروائي بقولها: "هذا الفضاء محول إلى كل، إنه واحد، وواحد فقط، مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب، التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، وكل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون (Lesactants) الذين تنسج المعلومات بواسطتهم المشهد الروائي"⁽⁰⁴⁾.

وقد تناول هذا الموضوع "موضوع زاوية الراوي" الناقد العربي سعيد المرزوقي في مؤلفه - مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا- بمعية جميل شاكر، وذلك بالحديث عن علاقة السارد بالحكاية Relation Narrateur/Histoire التي يروها ويميز في هذا الصدد بين نوعين من العلاقات:

- النوع الأول: يضع فيه السارد غريبا عن الحكاية: Narrateur hétérodiégétique

وفي هذه الحالة يكون الراوي غريبا عن الحكاية، ويغلب على هذا النوع استعمال ضمير الغائب .

النوع الثاني: السارد المتضمن في الحكاية: homodiégétique Narrateur

"وهو راو حاضر كشخصية في الحكاية التي يروي أحداثها ويلفظ هذا السرد باستعمال ضمير المتكلم...وهناك درجات على مستوى حضور السارد في الحكاية تميز منها وضعين ممكنين:

- وضع أول يكون فيه الراوي بطل سرده.
- وضع ثان يلعب فيه الراوي دورا ثانويا (كملاحظ أو كشاهد"⁽⁰⁵⁾.

ويبرز ذلك جليا في استعمال السرد بصيغة الغائب، كما نلاحظ وجود مستوى ثاني من السرد عندما تقوم الشخصية نفسها بالسرد كما هو الحال في شخصية سعيد حزوم في بداية الرواية وشخصية والده صالح حزوم وكاترين الحلوة- وشخصية أحمد المستكفي، حيث شرع في سرد حكاية غرق صالح حزوم في السفينة التي كانوا يستخرجون منها صفائح الكاز.

2- الراوي يساوي الشخصية أو الرؤية المصاحبة (بنية الموقعين):

في هذا النوع من الرؤية السردية، تكون معرفة الراوي لسير الأحداث مساوية لمعرفة شخصياته "فهو مثلهم لا يستطيع أن يقدم لنا شرحا لا يعرفونه للأحداث بل يسايرهم دائما، ويمكن أن نلاحظ هنا تعدادا في المراتب، فرما حكيت القصة بضمير المتكلم أو بضمير الغائب، لكنها تحافظ دائما على أن تقدم رؤية شخصية منها للأحداث، ومن ناحية أخرى يستطيع الراوي أن يحكي قصته من منظور عدد من الشخصيات، وأن ينتقل من شخصية إلى أخرى بطريقة منتظمة أو عفوية"⁽¹⁰⁾.

3- الراوي أصغر من الشخصية أو الرؤية الخارجية:

في هذه الحالة، الراوي لا يعرف عن أحداث روايته "مثل أي شخصية من شخصياته بل أقل منها دائما، فيصف ما يمكن رؤيته أو سماعه دون أن يدخل إلى وعي أو يتعمق في ضمير"⁽¹¹⁾.

- مكونات الرؤية السردية:

1- الراوي: يعتبر الراوي مكونا هاما في العمل السردية فهو خالق العالم السردية

وهو المتحكم في العلاقات التي تربط بين مكوناته كلها. والراوي هو الكائن الوسيط الذي تقوم بواسطته المادة الحكائية في أي عمل روائي، وهو الوسيط بين المتلقي والعالم الحكائي، ويوصف الراوي بأنه العين التي ترى المشاهد السردية ثم تعيد صياغتها في قالب جديد لتجعل المتلقي شريكا لها في الرؤية وهو الذاكرة الممثلة للعقل الجمعي للجماعة الإنسانية، وهو الصوت الذي بواسطته تصل المعلومات إلى الجمهور المتلقي.

ورغم اختلاف تعريفات النقاد للراوي وتصوراتهم لماهيته، تكاد تختلف كثيرا حول طبيعة هذه الماهية والتي تعني العلاقة بين المؤلف والراوي والمروي له.

2- المروي: و يقصد به في هذا المجال الرواية نفسها أو الحكاية التي تستدعي بدورها وجود راو يحكي القصة ومروي له أو مرسل إليه. ويعتبر السرد والحكي طرفا ثنائية هامة وأساسية لدى السردانيين.

وتعرف ماري لويزا برات الرواية بأنها "بنية فنية تنقل سلسلة محددة من الأحداث أو الخبرات أو المواقف وفق نسق متوافق يخلق إدراكا كليا خاصا به وأن القصة القصيرة استمرارية محدودة تتعارض مع عدم الاستمرارية غير المحدودة للرواية، وهي بنية متأصلة تطوي على ما يضمن لها استقلالها الذاتي كخلق مستقل في عالم القص البالغ الاتساع، حيث يمكن تمييزها بوصفها صنفا متميزا بحكم وقوفها مع الرواية جنبا إلى جنب"⁽¹²⁾.

أما هيلز فيفرق بين القصة والرواية بأن الأولى "تروي جزئية من الحياة وليست الحياة كلها، كما أنها تعتمد على التلميح بينما تستخدم الرواية التصريح"⁽¹³⁾، وأن القصة لا تتناول إلا شخصية مفردة أو حدثا مفردا بينما الرواية تمثل الشيء كله.

وقد سبق لباختين Bakhtine أن نبه إلى "أن لغة الرواية لا يسعها حيز بعينه أو خط أفقي تنظم فيه الأحداث، فالرواية قائمة على أساس التنوع في الكلام وحتى في اللغة، ومن ثم يحصل التباين بين الأصوات الفردية، بيد أن النوع الكلامي لا يكاد ينفصل عن خصيصته الاجتماعية"⁽¹⁴⁾ أما الخطاب الروائي فهو على العكس من ذلك، "عبارة عن جملة من المساحات المتقاطعة لا يظهر فيها المؤلف على أنه صاحب الإبداع المطلق لهذه المساحات كلها، ولكنه يكتفي بأن يمثل الدور الموجه والضابط لهذا الحيز اللغوي الذي يمثل مجموعة العمل الروائي الذي ينزاح بدوره عن مؤلفه المفترض"⁽¹⁵⁾.

3- المروي له: يعد المروي له خاصية هامة تساعد على فهم النص الروائي فهما أفضل واكتشاف العلاقات الداخلية بين الراوي والشخصيات الحكائية وبين الراوي والمروي له، والذي يظهر أساسا في شخصية المتلقي إذ يعترف الناقد العربي علي عبيد في مؤلفه - المروي له في الرواية العربية - بقوله: "فضالة الدراسات في هذا البحث ومحدودية المصطلحات وقلة ترسخها فضلا عن ندرة التطبيقات على نماذج روائية محددة تمثل عقبات كأداة تواجه البحث وتجعل منه مجازفة خطيرة ولكنها في الآن نفسه مغرية"⁽¹⁶⁾.

2- م. ن. ص 46 نقلا عن:
Wolfgang Kayser: qui raconte le roman, in poétique du récit
points. Seuil...1977. Page 66.

وكذلك عن كتاب:

Bernard valette: Esthétique du roman moderne

3- حميد الحمداني: بنية النص السردي، م. س. ص 46.

4- جوليا كريستيفا: النص الروائي.

Approche sémiotique du structure discursive
Transformationnelle. Mouton, 1976, P. 186.

5- سمير المرزوقي- جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً
وتطبيقاً، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، مجلة
علامات، ص. 106- 107.

6- عبد الرحيم الكردي: الراوي والنص القصصي، دار النشر—
للجامعات، ط. 2، 1996، ص 13

7- عبد الرحيم الكردي: الراوي والنص القصصي، دار النشر للجامعات،
ن. م. س. ص 13

8- م. ن. ص 13

9- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق
الجديدة، بيروت ص 435، 436

10- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 436

11- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 436.

12- صبيح الجابر: مدخل في فن القصة القصيرة، كلية الآداب والعلوم،
جامعة التحدي، سرت، ط، 1999م، ص 21.

13- م. ن. ص 21

14- أحمد يوسف: سيميائية التواصل وفعالية الحوار المفاهيم والآليات،
منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، مكتبة
الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2004، ص 83.

15- م. ن. ص 83.

16- علي عبيد، المروي له في الرواية العربية، دار محمد علي للنشر،
ط 1، 2003، ص 9- 10

17- سعيدي يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي،
بيروت، لبنان، ط 3، 1997، ص 172.

18- م. ن. ص 172.

19- م. ن. ص 172.

ويقول الدكتور علي عبيد نقلا عن بارث Rolandes Barthes
"ونحن نعرف أنه داخل التواصل اللغوي يقوم ضمير المتكلم
والمخاطب على الافتراض المتبادل، وبالطريقة ذاتها لا يمكن أن
توجد حكاية دون راو أو سامع (قارئ)، وقد يكون هذا أمراً
تافهاً ولكنه لم يستغل بما فيه الكفاية (...). وأكد أن دور المرسل
قد قيل فيه الكثير وبإطناب ولكن عندما تنتقل إلى القارئ فإن
نظرية الأدب تظل محتشمة أكثر من اللزوم.

هذا، كما أن الحديث عن المروي له يستدعي بدء الحديث عن
الراوي وهو العمدة الأساسية في أي عمل روائي.

- فما هي علاقة الراوي بالمروي له، وما علاقته بشخصياته؟
ومثلما نبحث عن موقع الراوي في الحكاية نبحث عن المروي له
— أهو مشارك في الحكاية "Homothétique" أم محابيد
"hétérodiégétique".

فالراوي والمروي له عنصران أساسيان يشتركان في تشكيل
البنية السردية للخطاب" ولا وجود لتلك البنية إذا انعدم وجود
واحد من هذه العناصر (وبالأخص المروي له)⁽¹⁷⁾.

لا بد من وجود طريقتين في تقديم القصة، فهناك من يعرض
لنا الحكاية "montrer" وآخر يحكيها "dire"، "وبذلك
فالصيغتين الأساسيتين تبعا لهذا هما العرض Représentation
والسرد Narration... فالأول سرد خالص، والكاتب مجرد شاهد
يقدم الأحداث، والشخصيات لا تتكلم، وتلك هي أسس
الخطاب التقليدي⁽¹⁸⁾.

والثاني يشكل ما يسمى عند سعيد يقطين بالدراما حيث
يقول: "أما في الدراما فإن أحداث القصة ليست مسرودة،
ولكنها تجري أمام الأعين مشخصة وفيها تهمين أقوال
الشخصيات"⁽¹⁹⁾.

بلباهي الطيب

الهوامش:

1- حميد الحمداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت،
لبنان، ط 3، 2000، ص 45.